العدد
24

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب
ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION

قراءة في كتاب

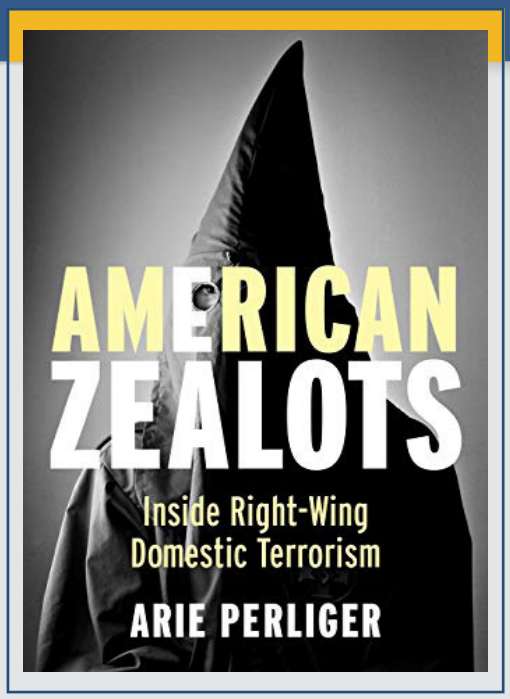

المتطرفون الأمريكيون
نظرةٌ في الإرهاب المحلّي اليميني

آري بيرليغر

قراءة في كتاب

إصدار شهري يصدر عن التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب

المشرف العام

اللواء الطيار الركن محمد بن سعيد المغيدي

الأمين العام للتحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب / المكلف

رئيس التحرير

عاشور بن إبراهيم الجهني

مدير مركز الدراسات والبحوث

التحرير والتصميم والإخراج

توق الإعلامية للأبحاث

البريد الإلكتروني: info@taoqresearch.org

هاتف: 966 114890124+

أبريل 2021

24
قراءة في كتاب

المتطرفون الأمريكيون
نظرةٌ في الإرهاب المحلّي اليميني

يوضِحُ هذا الكتابُ التطوراتِ الأخيرةَ في عنف اليمين المتطرف الأمريكي، ويحلِّلها ويشرحها، مع الإشارة إلى السياق التاريخي والجغرافي لكثيرٍ من الأفكار الرئيسة التي تقود إلى هذا النهج. ويمكن أن تكون الطبيعةُ الحيوية لليمين المتطرف في الولايات المتحدة والجوانب الفكرية والعملية المختلفة لهذا اليمين محيِّرةً لكثيرٍ من الدارسين والمهتمِّين بهذا الموضوع. وكغيره من الحركات الاجتماعية والسياسية، يتأثَّر اليمين المتطرف الأمريكي بجهات أجنبية مختلفة ويتعاون معها؛ نتيجةَ تطور العَلاقات. كالتعاون بين مجموعات النازيين الجدُد أو حليقي الرؤوس الأمريكيين والمجموعات الحاملة للفكر نفسه في أوروبا والدول الأنجلوساكسونية الأخرى مثل أستراليا وكندا. وتقدِّم بعض مجموعات التفوق الأبيض في الولايات المتحدة دعمًا كبيرًا للجماعات المسلَّحة القومية الأجنبية، من ذلك انضمام نشطاء حقوقيون من منظمات أمريكية، مثل فرقة أتوموفن، وحركة رايز أبوف، إلى ميليشيات قومية متطرفة في شرقيِّ أوكرانيا.

جاء ذلك في الكتاب المعنون بـ (المتطرفون الأمريكيون: نظرةٌ في الإرهاب المحلِّي اليميني) الذي أعد من قبل الكاتب: آري بيرليغر، ونشرته مطبعة جامعة كولومبيا في 18 أغسطس 2020م.

استعراض شامل

يتناول الكتابُ الأصول التاريخية للتيارات المختلفة لليمين الأمريكي المتطرف العنيف، وخصائص اليمين البنيوية والفكرية، ويشرح الكاتب آري بيرليغر المفاهيم والنظريات الأساسية المستخدَمة في وصف سياسة اليمين المتطرف وعنفه، ومدى جدواها للواقع الأمريكي. ويشرح الأسس الفكرية الرئيسة لليمين المتطرف الأمريكي، وأصوله الفكرية، وتاريخ تياراته المختلفة، وتطور جوانبه التنظيمية.

يتكوَّن الكتاب من **ثمانية فصول** رئيسة؛ **أولها**: تحدِّيات فهم الإرهاب المحلِّي والتصدِّي له. **ثانيها**: عقائد اليمين المتطرف العنيف. ثالثها: الأسس التاريخية لليمين الأمريكي المتطرف العنيف. **رابعها**: وسائل اليمين المتطرف الأمريكي. **خامسها**: تصاعد عنف اليمين المتطرف وتراجعه. **سادسها**: مرتكبو عنف اليمين المتطرف. **سابعها**: الخطاب المعاصر لليمين المتطرف الأمريكي. **ثامنها**: مستقبل اليمين المتطرف الأمريكي العنيف.

وأجرى الكاتب آري بيرليغر فحصًا تجريبيًّا لمظاهر العنف المعاصرة لليمين المتطرف الأمريكي، مسلِّطًا الضوء على الناشطين الاجتماعيين والاقتصاديين والسياسيين، وأثرهم في السياسة الأمريكية الحركية الاجتماعية. ثم حلَّل وسائل العنف وأنواعه المختلفة التي تستخدمها هذه الجماعات، وعَلاقة مواقفها المتطرفة بميول أفرادها فكريًّا. وبيَّن الاتجاهاتِ الغالبةَ والمؤثرة في اليمين المتطرف، وأثرَ الخصائص الجغرافية والديموغرافية والنفسية لمرتكبي أعمال العنف اليميني المتطرف، والفرق الرئيس بين «الجناة العفويين» و«الأعضاء العاملين».

وانتقل في الجزء الأخير إلى الخطابات المعاصرة لليمين المتطرف الأمريكي، مقدِّمًا مبادئَ أولية لفحص الأهداف والدعاية والخطاب والخطط الفكرية، ومُبرزًا الخطط المستقبلية للجماعات اليمينية المتطرفة. مع تناول أحوال اليمين المتطرف الأمريكي وظهوره وازدهاره في مناطقَ معيَّنة، ومجتمعات محدَّدة، وفي مراحل تاريخية مختلفة. وهذا يُؤكِّد أهميةَ السياق التاريخي والجغرافي في فهم تطور اليمين المتطرف الأمريكي.

ومن هنا يرى الكاتب آري بيرليغر أن فحصَ التوجهاتِ التاريخيةَ والجغرافية التي تُؤثِّر في طبيعة اليمين المتطرف الأمريكي ضروريٌّ لفكِّ رموزه الحركية المختلفة. على سبيل المثال: حركة الهُويَّة المسيحية، وهي أحدُ التيارات الشعبية داخل أقصى اليمين الأمريكي، هي سليلُ حركة فكرية ظهرت في بريطانيا في القرن التاسع عشر. وإن الثقافة الفرعية الأمريكية لحليقي الرؤوس هي أيضًا ثقافة مستوردة من أوروبا، ثم صُدِّرت مرة أخرى إلى الدول الأنجلوسكسونية.

اليمين المتطرف والروح الأمريكية

إن فهم العوامل المؤدِّية إلى دعم عقائد اليمين الأمريكي المتطرف وأفكاره، والاقتناع بأسلوبه العنيف أمرٌ مهم جدًّا، وذلك لضمان محافظة المجتمع الأمريكي على قِيَمه الليبرالية والديمقراطية، وإضعاف أثر الجماعات التي تهدِفُ إلى تقويض تلك القيم.

وبحسَب ما ذكره الكاتب لا يقتصر خطرُ الإرهاب المحلِّي اليميني المتطرف على تهديده المادِّي المباشر فحسب؛ بل يتعدَّاه إلى أثره في البيئة الاجتماعية والسياسية للواقع الأمريكي، وإلى قدرته الخطِرة على تكوين الخطاب السياسي والمعايير المدنية الخاصة به. ويُؤكِّد الكاتب أن الإرهاب اليميني المتطرف كان دائمًا جزءًا من المشهد السياسي الأمريكي، ومن ثمَّ فإن فهمَ العوامل التي تُؤدِّي إلى دعم عقائده وأفكاره وتوجهه نحو العنف، هو أمرٌ مهم لضمان المحافظة على القِيَم الليبرالية والديمقراطية في المجتمع.

ويرى أن أثر الإرهاب اليميني لا يقتصر على الخسائر والأضرار التي تلحق بالممتلكات فحسب؛ بل يبدو جليًّا في إثارةِ الريبة والشكوك في أذهان الناس فيما يتعلَّق بشرعية القيم والمعايير والممارسات السياسية القائمة أو فائدتها. وأن الإرهاب المحلِّي المتأثِّر بالسياسات المحلِّية يُعَدُّ تهديدًا أعظم خطرًا من الإرهاب الخارجي؛ لقدرته على حشد الدعم الشعبي للممارسات المتشدِّدة التي تُسهِّل عمليات التجنيد.

في هذا السياق من المهم تأكيدُ الدلالة التاريخية والإيجابية للمقاومة المدنية العنيفة في العقلية الشعبية الأمريكية، ويرجع هذا إلى إسهام هذه المجموعات في النضال من أجل استقلال الولايات المتحدة الأمريكية، وإسهامها أيضًا في بعض الصراعات اللاحقة في الولايات المتحدة. ونتيجةً لذلك فإن

المواجهة العنيفة والتحدِّيَ لقاعدة حكومية مركزية لا يُنظر إليها تلقائيًّا على أنها عملٌ إجرامي غير شرعي، كما هي الحال في بعض الديمقراطيات الأخرى، وهذا بلا شكٍّ يُسهم في استقطاب فئات مختلفة واقتناعهم بخطاب اليمين المتطرف.

وبهذا صار تهديدُ الإرهاب المحلِّي أكثر حدَّة؛ نتيجةَ الاستقطاب السياسي المتواصل في المجتمع الأمريكي منذ أواخر التسعينيات الميلادية. وأدَّى هذا الاستقطابُ إلى زيادة العوامل الأساسية المسؤولة عن تصاعد عنف اليمين المتطرف؛ إذ إن فقدان الثقة في السياسة والسياسيين ينتج عنه تفسيراتٌ متطرفة للواقع السياسي، يمكن أن تُلهمَ النشاط السياسي العنيف. ولمَّا كان هذا الاستقطابُ يُؤكِّد الحاجةَ إلى تعظيم أيِّ نصر سياسي، أو تجنُّب الهزيمة السياسية بكل الوسائل، فإن المتطرفين يميلون إلى استخدام العنف لتمرير سياساتهم المفضَّلة، أو الاستفادة مما يَعدُّونه بيئةً سياسية منفتحة.

العقيدة الفكرية لليمين المتطرف

تواجه دارسي سياسة اليمين المتطرف وأنشطته تحدِّياتٌ كثيرة، بعضُها امتداد للتحدِّيات التقليدية لدراسة الظواهر الاجتماعية والسياسية، وبعضُها الآخر له عَلاقة بتحركات اليمين المتطرف نفسه. وفي هذا الجانب يُوظِّف الخبراءُ عدَّة مصطلحات للحديث عن اليمين مثل: «اليمين المتطرف»، «أقصى اليمين»، «الشعبوية اليمينية»، «اليمين العنصري». وقد آثرَ الكاتبُ استخدامَ مصطلحَي «أقصى اليمين» و«اليمين المتطرف». وهو يُعرِّف «أقصى اليمين»: بأنه الجماعاتُ والأفراد الذين تكون أفكارهم وتوجُّهاتهم ضمن الطيف الفكري اليميني، ويسعَون إلى تغييرات جوهرية في النظام الاجتماعي والسياسي. في حين يُعرِّف «اليمين المتطرف»: بأنه الأحزاب والحركات الموجودة على يمين هذا الطيف الفكري.

ومن الناحية الفكرية يربط الخبراءُ بين اليمين المتطرف والفاشية -على الرغم من التمييز بين دلالات المصطلحين والتباين بينهما-، ويشيرون إلى التأثير الكبير لظهور الفاشية في أوائل القرن العشرين وعواقبها في العقيدة الفكرية والممارسات اليمينية المتطرفة. وكذلك تتميَّز عقائد اليمين المتطرف من سواها من العقائد الفكرية بسعيها الحثيث ونجاحها الكبير في اختراق التيار المحافظ والهيمنة عليه، حتى أصبح من الصعب التمييز بين الاتجاهين.

وتُعَدُّ كراهية الأجانب ومعاداتهم، والعنصرية، والإقصاء، من أبرز سِمات اليمين المتطرف. أما الكراهيةُ والعَداء فيتوجهان بعنف إلى الجماعات التي يُنظر إليها على أنها دخيلة، أو غريبة غير مألوفة. وأما العنصريةُ فتتجلَّى في السِّمات الجماعية، مثل: كراهية الأعراق الأخرى، والإيمان بأهمية القومية في الاختلافات الطبيعية والوراثية، والاقتناع بتفوق الجنس الأبيض على الأجناس الأخرى؛ لذا يستاء هؤلاء جدًّا حين يرَون غير البِيض في مراتبَ اجتماعية واقتصادية وسياسية رفيعة.

ويقتضي فهمُ ظاهرة اليمين المتطرف الإقرارَ بوجود غير قليل من التعريفات والتباين في الرؤى ووجهات النظر؛ لأن التعريفات الجديدة هي تجلِّياتٌ للتغيُّرات المجتمعية على تعاقُب الأجيال.

وعلى الرغم من أن بعض عناصر العقائد الفكرية الأخرى تُبنى أحياناً في إطار نظري أو منهجي مختلف، فإنها لا تزال هذه العناصر تُمثِّل في معظم الحالات الأُسسَ الفكرية لسياسات اليمين المتطرف.

اليمين المتطرف وعنصرية البيض

ارتبط اليمينُ المتطرف في الولايات المتحدة الأمريكية تاريخيًا بالنشاط العسكري لحركة «كوكلوكس كلان (KKK)». وعلى الرغم من أن هذه الحركة العنصرية لا تزال نشيطة نسبيًا، بدأت تملأ الفضاء الأمريكي منذ منتصف الستينيات جماعاتٌ متطرفة فكريًا على شكل جماعات مسلَّحة "ميليشيات". من هذه الجماعات ما يُسمَّى جماعة الهُويَّة المسيحية، وجماعة حليقي الرؤوس، وجماعة النازيين الجدُد.

ولفهم دقيق لليمين المتطرف الأمريكي وتصنيفه وتطوره الفكري، يشير الكاتب إلى نتيجتين رئيستين؛ أولاهما: أصبح اليمين المتطرف الأمريكي أكثرَ حيوية وتنوعًا فكريًا وهيكليًا أكثر من أي وقت مضى. وثانيتهما: أصبحت ثقافة اليمين المتطرف الأمريكي وخطاباته أكثرَ حضورًا في المخيِّلة الشعبية للمحافظين البِيض، مع استلهام كثير من المجموعات الجديدة للأفكار والممارسات الناشئة من خارج الخطاب اليميني المتطرف التقليدي.

إن فحص الحركات والمنظمات الموجودة على يمين الطيف السياسي الأمريكي دفع الكاتبَ إلى تحديد أربعة أُسس رئيسة للحركة الاجتماعية التي تعزِّز أهدافَ اليمين المتطرف العنيف وتغذِّيها، وهي: الإيمان بسيادة البيض، ومناهضة الحكومة، والأصولية الإقصائية، والحركات الاجتماعية المعادية للإجهاض. وتستخدم كلُّ هذه الحركات والمنظمات العنفَ لتعزيز الأفكار الوطنية والمتطرفة أو فرضها، مرتكزةً على معاداة الأجانب ومناهضة الديمقراطية.

وتظهر أفكارُ النزعة القومية، والتجانس الداخلي، والعنصرية، والإقصاء، وكراهية الأجانب، بوضوح في الخطاب الفكري لليمين المتطرف. وتسعى المجموعاتُ التي هي جزءٌ من صناعة الحركات الاجتماعية لتفوق البِيض إلى الحفاظ على ما يرَونه التسلسل الهرمي العِرقي الطبيعي؛ وذلك بفرض التفوق الاجتماعي والسياسي على مجموعات الأقليات، مثل: الأمريكيين الأفارقة، واليهود، والمهاجرين.

كذلك يهدِفُ اليمين إلى تعزيز السياسات والأعراف والممارسات الاجتماعية التي تسعى إلى الحفاظ على تفوق العِرق الأبيض، والامتيازات التي يحظى بها. ولتحقيق ذلك تستعمل هذه الجماعاتُ لغةَ الحماية التي تُعنى بالحاجة إلى حماية الحقوق المدنية وتراث الأشخاص البِيض، ويستخدم اليمين نفوذه السياسي والعنيف لتمكين البِيض، وعرقلة السياسات

التي من شأنها زيادةُ التجانس بين الأعراق في المجتمع. ومع بداية الثمانينيات من القرن الماضي، بدأ حليقو الرؤوس بمَلْء الفضاء العام، ففرسوا ممارسات ثقافية واجتماعية جديدة استوعبت عناصرَ النازيين الجدُد التقليديين، ودمجتهم في الممارسات التي أكَّدت السلوك المعاديَ للمجتمع، وهدمت المحرمات المستوحاة من الشعور القوي بالاقتصاد، مع الاهتمام بتطوير موسيقا (القوة البيضاء)، والاستخدام الكثيف لمشاعر الاشتراكية القومية، والمواقف العنيفة تجاه الأقلِّيات العِرقية والدينية، والأشخاص الذين لديهم أنماطُ حياة وأفكار سياسية مختلفة مثل «الشيوعيين والليبراليين»، والاهتمام أيضًا بالمظاهر الأمريكية الطامحة إلى تمثيل مصالح الطبقة العاملة الأمريكية للعِرق الآري.

الأصولية الدينية ومناهضة الحكومة

يرى الكاتب أن المشاعر المناهضة للحكومة حاضرةٌ في المجتمع الأمريكي منذ تأسيس الجمهورية، وتشمل هذه الظاهرةُ حركاتٍ وجمعياتٍ فكريةً مختلفة، تناهضُ الضرائب، وتدافعُ عن حقِّ حمل السلاح، وعن أفكار أخرى يدَّعي أصحابها أنها تحرُّرية. ونتيجةً لهذا نشأت جماعاتٌ مسلَّحة وحركات وطنية في بداية التسعينيات، أسهمت في تأسيسها الظروفُ الاقتصادية، والتغيُّرات الثقافية في المجتمع الأمريكي، والتأثير الكبير المطَّرد للأقلِّيات، مع سنِّ قوانين مراقبة الأسلحة، والتشريعات البيئية، وتقنين الإجهاض.

وتستخدم المجموعاتُ الدينية المتطرفة لنشر معتقداتها وأفكارها، ولتسويغ مواقفها العنصرية، تراثًا دينيًّا ورموزًا وطقوسًا ومعاييرَ زائفة. وهنا تشير الدراسات التخصصية الأكاديمية إلى العقائد الفكرية التي تُعزز الممارسات القائمة على التفسيرات الحرفية للنصوص الدينية.

يُستخدم هذا المفهوم لوصف الجماعات الدينية المتشدِّدة التي تمارس وسائلَ قسرية؛ من أجل دعم تفسيراتها لنصوصها وأعرافها المقدَّسة.

في المقابل، تستخدمُ حركةُ «الهُويَّة المسيحية» -وهي امتدادٌ للحركة الدينية الإسرائيلية البريطانية التي ظهرت في المملكة المتحدة في القرن التاسع عشر- تفسيراتٍ مميزةً حصرية للنصوص الدينية؛ للدفاع عن أفكار الإقصاء، وتفوق العِرق الآري؛ إذ يصرُّ الآريون على أنهم الشعب المختار الحقيقيُّ المذكور في النصوص المقدَّسة، وأنهم من نسل الشعب العِبري، مخالفين ما يعتقده كثيرون من أن الأمر يقتصر على اليهود فقط. وتؤكد أساطيرُ هذا الفكر أن الحرب العِرقية بين الأمم الأنجلوساكسونية البِيض وسائر المجموعات العِرقية الأخرى تُظهر الصراع المستمرَّ بين قوى النور وقوى الشرِّ، كما هو مذكور في النصوص الدينية المختلفة. وينتهي الأمر بحرب يستعيد بها الشعبُ الآري هيمنته وقيادته للأمم الأخرى.

وإن أحد الأسس الفكرية لليمين المتطرف هو التَّوق إلى استعادة القيم والممارسات التي هي جزءٌ من التراث التاريخي. وتسعى

بعضُ الجماعات اليمينية المتطرفة لاستخدام العنف لتقويض ما تراه مخالفًا لتقاليدها؛ كالإجهاض، واختلاط الأعراق وزواج المثليين.

ويرى الكاتب عند حديثه عن تاريخ التطرف اليميني الأمريكي، أن كثيرًا ممن كانوا قلقين بشأن تآكُل الهيمنة البروتستانتية في أمريكا في الماضي، أشاروا بأصابعهم إلى الموجة الكبيرة من المهاجرين القادمين من البلدان الكاثوليكية مثل إيطاليا وأيرلندا، التي استوعبتها البلادُ في أواخر الأربعينيات وأوائل الخمسينيات من القرن الماضي.

وما بين عامي 1845–1854م استقرَّ ما يقرب من ثلاثة ملايين مهاجر في الولايات المتحدة، أي أكثر من ثُمن سكان البلاد في ذلك الوقت، وأدَّى استيعاب هذا العدد الكبير من الوافدين الجدُد إلى ازدياد المخاوف لدى كثير من الأمريكيين بشأن قدرة الدولة على الحفاظ على «طريقة الحياة الأمريكية» بخصائصها الثقافية والسياسية والاقتصادية الفريدة.

الكوكلاكس كلان والنازية الأمريكية

زادت المشاعر المعادية للمهاجرين في المراكز الحضَرية الأمريكية لسببين؛ الأول: يرجع إلى موجات المهاجرين الجدُد، الذين هربوا من أهوال الحرب العالمية الأولى؛ إذ كان يُنظر إلى هؤلاء المهاجرين الجدُد على أنهم ضغط آخرُ على سوق العمل المتعثِّر. والثاني: نتيجة استخدام وسائل الإعلام لنشر الرسائل الدعائية المعادية.

وقد تمكنت كوكلاكس كلان (KKK) من تعزيز وجودها في مناطقَ جديدة، كان أثرها فيها محدودًا في الماضي، منها الشمال الشرقي والغرب الأوسط، حيث كان الاستياءُ من الجنود الأمريكيين الأفارقة العائدين من الحرب، فضلًا عن الهجرة الجماعية للأمريكيين الأفارقة من الجنوب إلى الشمال. وكان يُنظر إلى كوكلاكس كلان (KKK) من قِبَل كثير من الأمريكيين في ذلك الوقت على أنها (حركة أمريكية) تُعنى بالقضايا الوطنية، وقد نجحت في إقناع كثير من سكان الشمال بأنها حركةٌ ومنظمة شرعية تؤمن بالقِيَم والأعراف الأمريكية.

وبخلاف اليمين المتطرف وكوكلاكس كلان (KKK)، لم تستطع الجماعاتُ الاشتراكية القومية التي كانت جزءًا من التيارات السياسية والاجتماعية الأمريكية منذ أوائل الثلاثينيات، التحولَ إلى حركة جماهيرية، ولم تتمكن من الوصول إلى النظام السياسي الرسمي. إضافة إلى ذلك، فإن ربط معظم الأمريكيين الاشتراكيةَ القومية بالنظام النازي الألماني منعَ الجماعات النازية الأمريكية من استقطاب دعم شعبي كبير. لهذا ليس من قَبيل المصادفة أنه في عام 2017م قرَّرت أكبرُ منظمة للنازيين الجدُد في الولايات المتحدة، وهي الحركة الاشتراكية الوطنية، التوقفَ عن استخدام الصليب المعقوف في منشوراتها الرسمية على أنه أحدُ أهم رموزها.

عنف اليمين المتطرف وخُططه

غالبًا ما تنتهي هجَمات الحرق العمد لدُور العبادة والمساجد، في كثير من الحالات، دون وقوع إصابات، إلا أنه يبقى تأثيرها

النفسي كبيرًا في المجتمع؛ نظرًا للأهمية الرمزية لتلك المواقع، ووظيفتها المجتمعية والدينية والروحية. ولتحديد التأثير الرمزي والمباشر لأيِّ هجوم لا يكفي الاهتمام بحصر عدد الضحايا، ولكن يجب أيضًا النظر إلى التأثيرات الجانبية الأخرى.

من ذلك على سبيل المثال: جرى ارتكابُ جزءٍ كبير من هجَمات الجماعات اليمينية المتطرفة (بلغ أكثر من 40%) ضدَّ الأقلِّيات، ولهذا رمزية كبيرة واضحة.

ويبرز إرهابُ هذه العقيدة الفكرية أيضًا عند مناهضي الإجهاض الذين يقومون بأعمال عنف ضدَّ الأطباء والممرِّضات ومرافق الإجهاض. وعند التدقيق في الأساليب التي تستخدمها مختلِفُ المجموعات المنتمية إلى اليمين المتطرف، يمكننا معرفةُ ميولهم عبر عملياتهم، ومستوى التهديد الذي بلغته كلُّ مجموعة من هذه المجموعات. وكذلك نستطيع استخلاصَ كثيرٍ من الأفكار المهمة من البيانات والإعلانات التي تخرجها تلك المجموعات إلى العموم. فإذا كانت الهجَماتُ على الأطباء قد اكتسبت دعايةً كبيرة، فإن الغالبية العظمى من العنف الموجَّه إلى الإجهاض كان يستهدف الممتلكات «عيادات الإجهاض والمرافق المماثلة». ويمكن أيضًا استنتاج أن جزءًا كبيرًا من هجَمات الجماعات العنصرية (ما يقرب من ثلث جميع الهجَمات) كانت ذاتَ طبيعة تخريبية للإضرار المادي، في حين اتجه أعضاء الهُويَّة المسيحية والجماعات المسلَّحة أكثرَ إلى استهداف البشر في هجَماتهم الإرهابية.

الصعود والتراجع والانهيار

ويرى الكاتب أن طبيعة التنافس في الساحة السياسية في الولايات المتحدة في السنوات التي تجري فيها الانتخابات تؤدِّي إلى انخراط الجماعات السياسية في أنشطة أكثر تطرفًا؛ من أجل لفت الانتباه، والتعبير عن رسالتهم السياسية. ولتفسير تصاعد العنف في عام 2017م يشير الكاتب إلى مدرستين فكريتين رئيستين؛ المدرسة الأولى: تقوم على افتراض أن صانعي السياسات والوكالات الحكومية لا يميلون إلى تطبيق عقوبات صارمة على الجرائم ذات الدوافع السياسية التي ترتكبها الجماعات القريبة منهم فكريًا. والمدرسة الثانية: تقوم على إيمان مرتكبي هذا العنف بأن النُّخَب الحاكمة الجديدة أكثرُ تسامحًا مع الأعمال ذات الدوافع السياسية العنيفة غير القانونية، الناشئة من معسكرهم الفكري. ولهذا فإن المسؤولين السياسيين يكونون أكثرَ تردُّدًا في محاربة الجماعات التي تساندهم.

وتوضح البياناتُ أن هناك عَلاقةً إيجابية مهمة بين سيطرة الجمهوريين على الكونجرس ومستوى عنف اليمين المتطرف. ويشير هذان الاحتمالان إلى أن نشطاء اليمين المتطرف يرَون الهيمنةَ السياسية على اليمين فرصةً تزيد من الفوائد المحتمَلة للنشاط العنيف، مع تقليل التكاليف المحتملة. ويُؤكِّد الكاتب أن هذه النتائجَ تتوافق مع بعض جوانب النظريات القائمة على مفاهيم التمكين، والفاعلية السياسية، وهيكل الفرص السياسية.

ولا يعدو الدعم المستمرُّ لعقائد اليمين المتطرف الفكرية أن يكون استجابةً للمتغيِّرات الديموغرافية والاقتصادية الكبيرة، التي

أدَّت إلى تدهور الوضع والقوة الاقتصادية للجماعات، والتي اعتادت أن تكون هي الطبقةَ الاجتماعية والاقتصادية الراقية المتحكِّمة. فضلًا عن ذلك، تميل هذه القراءاتُ أيضًا إلى تأكيد التغييرات المعيارية والمجتمعية التي يمكن أن تُسهِّلَ مشاعرَ العَداء والكراهية تجاه الآخر المتمثل في الأقلِّيات والمهاجرين والنساء.

وتتيح التغييراتُ الاجتماعية والسياسية تفسيرًا نسبيًّا لمستويات عنف اليمين المتطرف في أمريكا، فمثلًا النتائجُ الانتخابية والسياسات القضائية والتنفيذية التي تدعم القِيَم والممارسات المحافظة، قد تشجع على الانخراط في أنشطة سياسية غير قانونية وعنيفة، وهذا من شأنه أن يؤدِّيَ إلى تمكين الجناة العقائديين الذين يشعرون بأن لهم الشرعيةَ للتعبير عن آرائهم اليمينية المتطرفة. وهذا ما يُظهر المسؤولية الكبيرة لصانعي القرار، ولا سيَّما المحافظين منهم، في مساعدة أتباعهم السياسيين على تطوير فهم أكثرَ توازنًا للسياسة والنتائج الانتخابية، بوصف أن الأخيرة تُظهر إرادة الجمهور، ويجب قَبولها ولو أدَّت إلى نجاح خصومهم السياسيين.

مرتكبو عنف اليمين المتطرف

يعتقد كثيرٌ من الخبراء أن ارتكاب العنف السياسي ليس حِكرًا على المتطرفين؛ إذ يمكن إقناعُ أيِّ شخص أو الضغط عليه للانضمام إلى مجموعة عنيفة. وهنا يشير الكاتب إلى ظهور نهجين رئيسين لتصنيف مرتكبي العنف السياسي، كلاهما يُعنى بأنواع مختلفة من الخصائص؛ للتمييز بين الجناة المحتمَلين والناس العاديين.

أما النهج الأول «وهو الملف الاجتماعي»: فيهتم بتحديد الخصائص الاجتماعية لمرتكبي العنف السياسي، مثل: السن، والتعليم، والحالة الاجتماعية، وحالة الهجرة، والدخل الفردي. ولا يمكن لأي ملف اجتماعي توافقي أن يناسبَ جميع الجناة. ومن الممكن تحديدُ ملف تعريف اجتماعي للأفراد الذين ينتمون إلى تيار فكري معيَّن، أو يؤدُّون عملًا محدَّدًا داخل منظمة متشدِّدة. كما أن الجهود المبذولة لتطوير الصورة النفسية لأعضاء الجماعات المسلَّحة ترتبط ارتباطًا مباشرًا بمسألة العوامل المشجِّعة. وبعبارة أخرى ترتبط ارتباطًا مباشرًا بتحديد الخصائص المشتركة بين مرتكبي العنف السياسي؛ أملًا في الحصول على رؤية أفضلَ للدوافع التي تحرك سلوكهم العنيف.

وأما النهج الآخر: فيهتم بالعقيدة الفكرية والهُويَّة، وأثرهما الحاسم في مَيل الفرد للانخراط في العنف السياسي، وهذا مما يساعد على رسوخ القِيَم والمعتقدات، وتعزيز الشعور بالانتماء إلى جماعة فكرية ما. وعلى سبيل المثال: وَفقًا لهذا النهج، فإن الشباب المسلمين الذين سافروا إلى سوريا والعراق من الدول الغربية للانضمام إلى تنظيم داعش الإرهابي، إنما يفعلون ذلك لما يشعرون به من ارتباط أوثق والتزام أقوى بهُويَّتهم الدينية الإسلامية ومجتمعهم، أكثر من هُويَّتهم الوطنية أيًّا كانت؛ بريطانية، أو أمريكية، أو فرنسية، أو غير ذلك.

الخصائص الاجتماعية لمتطرفي اليمين

يرجع الكاتب إلى البيانات المتوافرة عن الهجمات الإرهابية، التي تُؤكِّد التعقيد الموجود في الإرهاب ومرتكبيه. وعلى الرغم من أن الاعتقاد السائد هو أن أغلب الإرهابيين من الذكور، تشير الأبحاث إلى أن النساء ينخرطن أيضًا في مهام مهمة محدَّدة، ولا سيَّما في جمع المعلومات الاستخبارية، والمساعدة الطبية. ولكن لأسباب اعتقادية لا يُسمح لهن بالمشاركة في المهام القتالية إلا في حالات نادرة.

ومن الواضح أن العقيدة الفكرية القائمة على المساواة في الجماعات اليسارية أثَّرت في تكوينها من حيث الجنس؛ ففي بعض الجماعات اليسارية في أمريكا اللاتينية وأوروبا، شكَّلت النساء نسبةً كبيرة من أعضائها، (بلغت في بعض الأحيان أكثر من 50%) وشغلن مناصب قيادية.

وفي المقابل، تتكون معظم الجماعات اليمينية المتطرفة من الرجال؛ وحتى بداية الثمانينيات -على سبيل المثال- لم يُسمح للنساء بالانضمام إلى «كوكلاكس كلان KKK». وبالمثل، فمعظم الميليشيات والجماعات النازية الجديدة تتكون في الغالب من أعضاء ذكور؛ لذا ليس من المستغرب أن يكون معظم الجناة في هذه الجماعات (93.5%) من الذكور.

ويضيف الكاتب نتائج مهمة تتعلق ببيانات الجناة، فمثلًا، بالمقارنة مع مرتكبي الهجمات المخطط لها مسبقًا، يُعدُّ الجناة العفويون أصغر سنًا بكثير، وأقل تعليمًا، وأكثر عرضة للبطالة. وما لا يقل أهمية هو أن الهجمات التلقائية تحدث في الأماكن الأكثر ثراءً حيث تقل فيها الأقليات والمهاجرون. وما يمكننا استنتاجه من هذه الاختلافات؟ حسب الكاتب، هو أن الشباب قليلي الموارد والأقل تعلمًا هم بطبيعة الحال أقل قدرة على المشاركة في عمليات معقدة ومخطط لها سابقًا، وعلى هذا، يقومون بهجمات عفوية. فضلًا عن أن «الجناة العفويين» لديهم القليل ليخسروه، فهم أقل اهتمامًا بالعواقب، وأكثر طلبًا للشهرة. أما الأكبر سنًا فلديهم التزامات وارتباطات عدة، فهم أكثر ميلًا إلى وضع الخطط والاستعداد والتنظيم ليتمكنوا من تجنب العواقب.

الخطاب المعاصر لليمين المتطرف

في حين كانت الهُويَّة العرقية دائمًا مكوِّنًا أساسيًّا للنشطاء اليمينيين المتطرفين، التي بنيت عادةً ضمن السياقات السياسية المحلية، فقد أدى انخفاض التركيز على هذه الهُويَّة إلى بزوغ

هُويَّة دينية ثقافية عرقية جديدة عابرة للحدود الوطنية. وفي حين كان التعاون والتنسيق بين المجموعات اليمينية المتطرفة محدودًا، أصبح عددٌ كبير من اليمينيين المتطرفين يتبنون منظورًا عالميًّا بالطريقة التي يحددون بها قواعدهم الانتخابية والصراعات والتهديدات الشاملة التي تواجه العرق الأبيض في كل مكان. وفي هذا السياق، أصبحت الفروق السابقة بين الأمم البيضاء والتقاليد المسيحية أقلَّ أهمية في مواجهة الأهمية الكبرى «للصراع الثقافي» العالمي.

وأدت العواقب المؤلمة لظهور الأنظمة الفاشية في أوروبا في أوائل الثلاثينيات، والشعبية الزائدة لأحزاب اليمين المتطرف، منذ أوائل الثمانينيات، إلى قيام العديد من علماء الاجتماع بفحص الأدوات التي أسهمت في الخطاب المقنع والدعاية المؤثرة لهذه الفئة السياسية.

ويذكر الكاتب أربعة محاور رئيسة لخطاب الكراهية هذا وهي:

1. تبرير العنف وممارسته.
2. شيطنة العدو.
3. تفسير الأحداث والعمليات التاريخية والمعاصرة العالمية والمحلية على نحوٍ يُؤيِّد طرحَ اليمين المتطرف.
4. الترويع من المستقبل.

ويكشف فحص الخطاب العقائدي والفكري للجماعات العنصرية البيضاء في أمريكا أن هذه الجماعات تُركِّز على اضطهاد الأجناس والأقليات الأخرى، وعلى الحفاظ على امتيازات العرق الأبيض، إذ توسعت أهدافها لتشمل سلسلة من القضايا الاجتماعية والاقتصادية تهمُّ الطبقة العاملة البيضاء في أمريكا، وتأمين أنفسهم ومستقبل أطفالهم المسيحيين البيض، والقضاء على ما يعدونه تمييزًا ضدَّ العرق الأبيض.

وتُؤدِّي الأحداث المحلية والتاريخية عملًا محوريًّا في صعود اليمين المتطرف المدفوع بالعنصرية. فعلى سبيل المثال، في أثناء محاكمة جورج زيمرمان، الشرطي الذي قتلَ مراهقًا أمريكيًّا من أصل إفريقي بدعوى الدفاع عن النفس، شهدت منتديات اليمين المتطرف ارتفاعًا كبيرًا في الرسائل الداعمة لتصرف زيمرمان، وإضفاء الشرعية على تصرفه. وبالمثل، تحضر قضية «ديلان روف» الذي أطلق النار على تسعة أمريكيين من أصل إفريقي في كنيسة «إيمانويل» الإفريقية الميثودية الأسقفية في تشارلستون بولاية ساوث كارولينا، في يونيو 2015م، الذي صوره اليمين المتطرف بأنه «قديس» يدافع عن وجود الشعب الأبيض ومستقبله. وبطبيعة الحال، لا يُركِّز نشطاءُ مجموعات التفوق الأبيض على المجموعات والسياسات الخارجية فقط؛ بل يشاركون أيضًا في نقاشات داخلية مختلفة تتعلَّق بممارسات مجموعاتهم.

ويعدُّ أحدَ التطورات الأكثر إثارة للاهتمام في الثقافة الفرعية لحليقي الرؤوس هو الإحجامُ عن تأييد السلوكيات العنيفة والأفعال الإجرامية الأخرى. ومن ذلك على سبيل المثال، تُصدر الحركةُ أحيانًا توضيحًا رسميًّا تتبرأُ فيه من العنف، أو بعض الهجمات التي تحسب عليها.

الهُويَّة المسيحية وعولمة اليمين

لا يزال الاعتماد على تفسير حرفي و«غريب» للنصوص الدينية هو السمةَ الأساسية لخطاب حركة الهُويَّة المسيحية. لكن هناك اتجاه قوي بالقدر نفسه في السنوات القليلة الماضية يربطُ الأحداثَ المعاصرة بالفكر العقدي العام للحركة وتفسيرات النصوص المقدسة. وهذا، بحسب الكاتب، يُظهر «الإبداع» في الفكر العقدي، الذي يهدف على نحو أساسي إلى الإشارة إلى «علامات» نهاية العالم المقبلة، إذ تقول بعض الجماعات إن الحرائق والكوارث الطبيعية هي على الأرجح تصوير لعقاب الله. في حين عارضت الجماعات اليمينية المتطرفة الأوروبية لسنوات عديدة الاتحاد الأوروبي خوفًا من تآكل سيادة دولها، وأصبحت المشاعر المناهضة للعولمة في العِقد الماضي موضوعًا مركزيًّا لخطاب اليمين المتطرف الأمريكي.

وتنظر الجماعات اليمينية المتطرفة إلى العولمة على أنها عقيدة فكرية تضفي الشرعية على تكامل الممارسات الأجنبية، وتُؤدِّي في النهاية إلى تآكل الهُويَّة الوطنية للبيض؛ فكلما استمرت تلك العولمة العالمية ازداد تأثيرها على أسواق العمل والتطورات الاقتصادية. وفي الولايات المتحدة تُدمج أيضًا المشاعر المناهضة للعولمة في التصورات التقليدية «للاستثناء الأمريكي»، ومن ثَم فإن العناصر اليمينية المتطرفة هناك تساوي بين الممارسات العالمية مع الترويج لتدمير الولايات المتحدة.

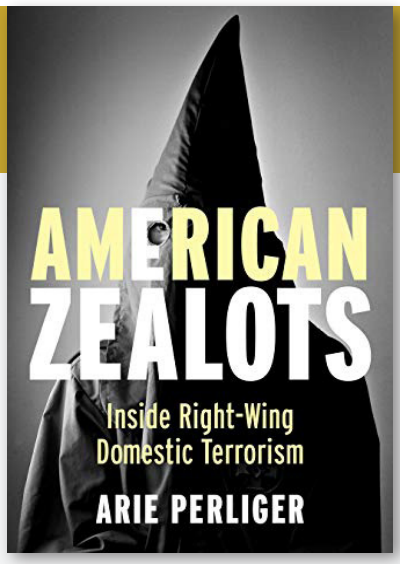

المتطرفون الأمريكيون

نظرةٌ في الإرهاب المحلّي اليميني

الناشر: مطبعة جامعة كولومبيا

18 أغسطس 2020م

ASIN: B082FP14G8

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب
ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION

التحالف الإسلامي العسكري لمحاربة الإرهاب

ISLAMIC MILITARY COUNTER TERRORISM COALITION